من وراء تصويرها إلى البحث عن صيغة من صيغ التوازن الاقتصادى :

ذَرينى للغِنى أسْعَى فإنى ... رأيتُ النـاسَ شرّهم الفقيرُ
وأهونُهم وأدنَاهم عليهم ... وإنْ أمْسَى له حَسَبٌ وخِير
يباعدُه القريبُ وتَزْدَريه ... حليلتُه وينهَرُه الصَّغِيرُ
ويُمْسى ذُو الغنى ولهُ جَلالٌ ... يكادُ فؤاد لاقِيه بطير
قليلٌ ذَنْبُه والذنبُ جَمّ ... ولكِنْ للغِنَى رَبٌّ غَفُورُ

ثم تتناثر أبعاد رؤية الصعلوك من حيث الانتماء والتوقف عند معالم الفخر ومواطن الاعتداد التى سقط من حسابه فى زحامها منطق الأنساب والعصبيات ، ليركز عدسته على التغنى بفقره وتشرده على طريقة تأبط شرا فى قوله :

بِشَرْثَةٍ خَلَقٍ يُوقىَ البنَانُ بها .. شَدَدْتُ فيه سَرِيحاً بعدَ إطراق

ومرة أخرى فى نفس القصيدة جامعاً بين حفاء القدمين وعرى الساقين:

عارِي الظنَا بِيب مُشْتَدٍّ نَوَاشِرُهُ .. مِدْلَاجِ أدْهَمَ وَاهِي المَاءِ غَسَّاقِ

فهل كانت رموز الفقر داعية إلى تحولهم إلى عدائين بهذا القدر من التمايز والتفوق ؟ أم أنها كانت مبررا لطرح فلسفاتهم وانعكاسات رؤاهم فى شكل أكثر إقناعاً أو أشد قابلية لهذا الإقناع ؟

أغلب الظن أنها للأمرين معاً .

وضمن منطلقات التجديد ، واستكمالا لصور المخالفات التى درج عليها الصعاليك كانت كثرة ما أفرزته قرائحهم من ميل خاص إلى شعر المقطوعات تناسبا مع إيقاع حياتهم الخاصة ، فهل كان الصعلوك إلا لمحا خاطفا فى جوف الصحراء يسارع إلى الفرار لا من قبيل الجبن ، بل فى سبيل النجاة مما يصبح عنده رمزا من موز التفرد على غرار ما صوّره لنا تأبط شرا فى نجاته من عالم